

قضايا العراق السياسية في مرآة شعر عدنان الصائغ

* راحلة محمودى

** سيّد محمدرضا ابن الرسول

الملخص

عدنان الصائغ (١٩٥٥م) من أخطر شعراء الحرب الذين أنجبهم جيل الثمانينات الشعرى في العراق. عاش الحرب بكلّ تفاصيلها في جبهات الموت سنوات طويلة و كان يكرهها غاية الكراهية. له مجموعات شعرية و أكثر موضوعات شعره في قضايا العراق السياسية و الإجتماعية، و يمثّل تطوراً عضويّاً للقصيدة الحديثة في العراق. هو يكتب قصيدة الحر و قصائد تراوح بين نظم قصيدة الحر و بين قصيدة النشر. نريد في هذا البحث الذى يغلب عليه المنهج الوصفى- التحليلي أن ندرس المجاميع الشعرية للشاعر العراقي عدنان الصائغ دراسة فنيبحث عن الآراء السياسية لهذا الشاعر، و نعرضها بعد استخراجها بعون الله.

الكلمات الدليلية: عدنان الصائغ، القضايا السياسية، العراق، الشعر العربي المعاصر.

* ماجستيرة في اللغة العربية و آدابها، جامعة اصفهان. mahmoodi.1367@yahoo.com

** عضو هيئة التدريس في فرع اللغة العربية و آدابها بجامعة اصفهان(أستاذ مساعد).

الكاتبة المسؤولة: راحلة محمودى

تاريخ القبول: ٩١/٧/٢٠

تاريخ الوصول: ٩١/١/١٥

مقدمة

ولد الشاعر عدنان الصائغ في مدينة الكوفة في العراق، عام ١٩٥٥م (الروضان، ٢٠٠٥م: ٣٤١) في بيت صغير قريباً من نهر الفرات، بدأ الكتابة منذ سن مبكر وحصل على شهادة الإعدادية الزراعية (الجبوري، ٢٠٠٣م: ٣٧٤). فالصائغ واحد من الشعراء العرب البارزين، و يكتب ما يسمى الآن بقصيدة النثر. له من الإصدارات الشعرية: «انتظريني تحت نصب الحرية»، «أغنيات على جسر الكوفة»، «العصافير لا تحب الرصاص»، «سما في حُودة»، «مرايا لشعرها الطويل»، «غيمة الصمغ»، «تحت سماء غريبة»، «تكوينات»، «نشيد أوروک»، «قصيدة طويلة»، «تأبط منفى»، «اشتراطات النص الجديد»، «القراءة والتوماهوك»، «خرجت من الحرب سهواً»، «صراخ بحجم وطن»؛ صدر له «تلك السنوات المرّة و المنفى الأخير» شهادتان في الشعر و الحرب و المنفى، و أيضاً دراسات و مقالات باسم «اشتراطات النص» و «في حديقة النص». تُرجمت مختارات من أشعاره إلى لغات عديدة و عمل في بعض الصحف و المجلات العراقية و العربية في الوطن و المنفى.

وصفته جريدة «بابل» التي كان يملكها عدى صدام حسين في ١٣ تشرين الأول عام ١٩٩٦م بـ «المرتد» في قائمة ضمت عدداً من الكتاب العراقيين. و وضعت صحيفة «الزوراء» في ٢ آذار عام ٢٠٠٠م التي كان يشرف عليها أيضاً عدى صدام حسين على رأس قائمة ضمت أسماء ٣٢ أديباً وصفتهم بالكتاب المعاندين، الذين خرجوا في التسعينات من الوطن و الذين يكتبون الآن في الصحف المعادية.

تعرض في مهرجان المرشد الثالث في البصرة عام ٢٠٠٦م للتهديد بالقتل و قطع اللسان، من قبل أحد الميشيليات الظلامية المسلحة بتهمة التطاول على المقدس إثر قراءته لـ «نصوص مشاكسة قليلاً» (الصائغ، ٢٠١٠م: ٧٧٦).

قد شغلت الآراء الاجتماعية و السياسية للشعراء حيزاً واسعاً من الرسائل الجامعية. غير أنني لم أعثر حتى اليوم على أي كتاب و لا رسالة تطرقت إلى الموضوع المذكور في شاعرنا العراقي المعاصر عدنان الصائغ. غير أنه قد شهد عام ٢٠٠٦ في كلية التربية بجامعة

بغداد، مناقشة أول رسالة ماجستير حول تجربة شاعر من جيل الثمانينات في العراق حملت عنوان «شعر عدنان الصائغ دراسة أسلوبية»، قدمها الباحث و الشاعر عارف الساعدي، و حصل فيها على درجة الماجستير في الأدب الحديث بدرجة امتياز. و أطروحة «قصيدة الصائغ إنسانية المغزى» من خالد محمد المصري نوقشت في جامعة اليرموك الأردنية بإشراف الدكتور خليل الشيخ و التي تركز بنيتها الأساسية على النقاط و الجزئيات.

أوضاع العراق السياسية في عصر الصائغ

- إن أحداثاً سياسية ضخمة مرت على العراق منذ عام ١٩٥٨م نذكرها باختصار:
١. ثورة تموز ١٩٥٨م في العراق: و قد جرت في الرابع عشر من شهر تموز عام ١٩٥٨م و هي سنة حرجة في تأريخ ما بعد الحرب العالمية الثانية (راى، ٢٠٠٣م: ٤٥)، ثورة عسكرية في العراق عاضدها الشعب العراقي. و قد قضت هذه الثورة على النظام الملكي الذي كان سائداً فيها عبر الأسرة الهاشمية و أعلنت الجمهورية (هلال، ٢٠٠٦م: ٤٦٦).
 ٢. حرب الخليج الأولى عام ١٩٨٠ - ١٩٨٨م: هي الحرب التي دارت بين العراق و إيران بعد الثورة الإيرانية الإسلامية التي تزعمها آية الله خمينى. و كانت بين عامى ١٩٨٠ - ١٩٨٨م (المصدر نفسه: ٤٨١).
 ٣. حرب العراق ضدّ الكويت عام ١٩٩٠م: في ٢ أغسطس ١٩٩٠م قامت قوات النظام العراقي بعدوان مسلّح على دولة الكويت، و احتلت أراضيها في مفاجأة هزت ضمير العالم (مركز البحوث و الدراسات الكويتية، ١٩٩٣م: ٩).
 ٤. حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م: و هي الحرب التي نشبت بين أميركا و العراق في مطلع العقد الأخير من القرن العشرين. في يوم السادس عشر من الشهر الأوّل لعام ١٩٩١م تقدّمت الطائرات الأميركية تقصف العراق قصفاً مركزاً (هلال، ٢٠٠٦م: ٤٨٩ - ٤٩٠).

٥. حرب الخليج الثالثة عام ٢٠٠٣م: أطلقت أميركا النار على العراق في ٢٠ مارس عام ٢٠٠٣م رسمياً وهاجمت بغداد جويًا بصورة محدودة. ثم بدأت الحرب القوات العسكرية للولايات المتحدة و بريطانيا برياً من الجنوب حتى احتلوا بغداد و مدينة تكريت مسقط رأس صدام في ١٤ أبريل. و هكذا تنتهي الحرب العسكرية و أعلن بوش نصره على صدام حسين في ١ مه (رينولد، ١٣٨٩: ١٣١).

في مثل هذه الظروف الخانقة كان هناك شعراء يهتمون كل الاهتمام بقضايا مجتمعهم؛ منهم شاعرنا العراقي *عدنان الصائغ* الذي لقد وعى أزمات مجتمعه وعى التجربة.

تشبثت به هذا الظروف فعزم على أن يبليغ رسالته بالشعر، و إذا نقرأ شعره فلا نجده إلاّ و هو تطويع لحركة الحياة العراقية المعاصرة، و توظيفه لخدمة قضايا العصر السياسية و الاجتماعية في العراق.

من هذه الأغراض التي تطرق إليها *عدنان الصائغ* هي الحرب، تراجعياً مستمرة التي قد ملأت كثيراً من صفحات تاريخ العراق، و التي يكرهها شاعرنا العراقي و السلام الذي ينتظره حتى تلده الحياة؛ و الديكتاتورية و رعب الاستبداد و الاحتلال الذي هو السبب الأساس للحروب.

الآراء السياسية هي القضايا التي تعمّ الحكومات و كيفية تعامل الحكومة بالرعايا و على العكس؛ منها قضية فلسطين و الحرية السياسية و الديكتاتورية و ضياع الوطن و حكام العرب و الاستعمار و... .

١. الحرب

إذا تصفحنا أشعار *الصائغ* لوجدنا نصوصاً كثيرة خصصها للحرب و تبعاتها في حياة الشعب، و كثيراً ما يصرخ شاكياً يندد بالحرب التي طالت و سرقت نصف عمره و أضرت و

عاشت خراباً و غيّبت وجوهاً تحت الخنادق و صدحت أسماءً في الأناشيد في قصيدة طويلة سماها بـ «الجنوب»:

ما هَكَذَا...
يا مَدِينَةً
تَنْسِينُ عُمْرِي الَّذِي سَرَقَتْ نِصْفَهُ الْحَرْبُ
ما هَكَذَا، يا مَدِينَةً تَنْسِينُ أَحْرَانَنَا
وَ الْوُجُوهَ الَّتِي غَيَّبَتْهَا الْخَنَادِقُ
ما هَكَذَا يا مَدِينَةً... نَحْنُ طَعَامُ الْمَعَارِكِ
كَمْ صَدَحَتْ
فِي الْأَنْشِيدِ
أَسْمَاؤُنَا

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٩٢-١٩٣)

هكذا صور الحرب في وطنه، و هو يكره الحرب على مقدار حبه للعصافير و السلام و ينتظر السلم ذات صباح مندى بعد أن زرعت الطفولات و الأمنيات، و كل شيء في الحرب فيعبر عن السلام بقوله:

أَيَّتُهَا الْحَرْبُ
يا رَجِمِ الْحَيَاةَ الْمُتَوَرِّمَ
زَرَعْنَا فِي أَحْشَائِكَ كُلَّ شَيْءٍ:
طُفُولَاتِنَا، وَ أُمْنِيَاتِنَا، وَ قَصَائِدِنَا، وَ مَخَافِنَا، وَ أَعْمَارَنَا الْقَلِيلَةَ.
مِنْ أَجْلِ أَنْ تُنَجِّبِي - ذَاتَ صَبَاحٍ مُنْدَى -
طِفْلَ السَّلَامِ الْقَادِمِ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٣٠٦)

٢. الديكتاتورية

يقول الكواكبي: «استبداد الحكومات جعلت الإنسان أشقى ذوى الحياة» (نقل فى الصائغ، ٢٠١٠م: ٢٠٥).

ولنقرأ فى قصيدة تراوح بين نظم قصيدة الحر و بين قصيدة النثر، و هو يكتب كما يتنفس عن الرئيس المستبد و هو كل شىء فى وطنه دون أى إهتمام بالناس، و ليس شىء إلّا و هو ينتمى إليه حيث الوطن يبدأ منه و ينتهى إليه:

حَيْثُ الْوَطَنُ

يَبْدَأُ مِنْ خِطَابِ الرَّئِيسِ

وَ يَنْتَهِي بِخِطَابِ الرَّئِيسِ

مُرُوراً بِشَوَارِعِ الرَّئِيسِ، وَ أَغَانِيِ الرَّئِيسِ

وَ مَتَاحِفِ الرَّئِيسِ، وَ مَكَارِمِ الرَّئِيسِ

وَ أَشْجَارِ الرَّئِيسِ، وَ مَعَامِلِ الرَّئِيسِ، وَ صُحُفِ الرَّئِيسِ

وَ إِسْطَبْلِ الرَّئِيسِ، وَ عُيُومِ الرَّئِيسِ، وَ مَعْسَكَرَاتِ الرَّئِيسِ

وَ تَمَائِيلِ الرَّئِيسِ، وَ أَفْرَانِ الرَّئِيسِ، وَ أَنْوَاطِ الرَّئِيسِ

وَ مَحْطِيَّاتِ الرَّئِيسِ، وَ مَدَارِسِ الرَّئِيسِ، وَ مَزَارِعِ الرَّئِيسِ

وَ طُفْسِ الرَّئِيسِ، وَ تَوْجِيهَاتِ الرَّئِيسِ

سَتُحَدِّقُ طَوِيلًا

فِي عَيْنِي الْمُبْتَلَّتَيْنِ بِالْمَطَرِ وَ الْبُصَاقِ

وَ تَسْأَلْنِي مِنْ أَيِّ بِلَادٍ أَنَا

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٥٦)

٣. رعب الاستبداد و عدم الأمن

إنّ هول الاستبداد قد أحاط بالشاعر العراقي عدنان الصائغ و لا يدعه حتى في المنفى، و يرجع السبب إلى ما مرّ عليه في وطنه. يريد الشاعر في قصيدته أن يتخلص من المخاوف و يدعو له و عيونه قد سمّرت إلى بساطيل الشرطة خوفاً منهم و خوفاً أن يوقفه مخبر و هو نائم في سريره:

كَيْفَ لِي
أَنْ أَتَخَلَّصَ مِنْ مَخَاوِفِي
رَبَّاهُ
و عُيُونِي مُسَمَّرَةً إِلَى بَسَاطِيلِ الشَّرْطَةِ
لَا إِلَ السَّمَاءِ
و بِطَاقَتِي الشَّخْصِيَّةَ مَعِي
و أَنَا فِي سَرِيرِ النَّوْمِ
خَشِيَّةً أَنْ يُوقِفَنِي مُخْبِرٌ فِي الْأَحْلَامِ

(المصدر نفسه: ٦٤-٦٥)

٤. الإحتلال

إنّ إحتلال الأراضي بيد المحتلين و في رأسهم أميركا و بريطانيا ليس جديداً خاصة في العراق. إنّ عدنان الصائغ يشير إلى المحتلين الذين لم يغضبوا وطننا الأم فحسب بل و إنما تعلو عماراتهم على بقايا بناينا التي قد هدمت فماذا نفع بعد ذلك؟ هل نقوم ببيع السجائر؟:

تَعْلُو الْعِمَارَاتُ... تَعْلُو... وَ تَعْلُو...
لَا مَبَالِيَّةً
فَوْقَ أَنْقَاضِنَا

مَا الَّذِي نَفَعَلُ الْآنَ
أَسْفَلَ جُذْرَانَهَا
هَلْ نَبِيْعُ السَّجَائِرِ...

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٩٢)

٥. التشرّد و النفي

من الجرائم التي ارتكبتها النظام البعثي بحق الشعب العراقي هو تهجيرهم إلى الخارج، غير أن بعض العراقيين منهم الشعراء و الأدباء غادروا الوطن و فضّلوا الفرار على القرار، لما تجرى في العراق من المضايقات السياسية و الفكرية و ما إلى ذلك. و ظلّ الشاعر يعاني عذاب التشرّد في أصقاع شتّى من هذا العالم. و لكثرة ما تذوق من مرارة التشرّد و الابتعاد عن الوطن يسير منحنياً و كأنه كمن يحمل وطناً تحت إبطه:

لِكَثْرَةِ مَا جَابَ مَنَافِي الْعَالَمِ
كَانَ يَمُرُّ مُنْحَنِيًّا كَمَنْ يَتَأَبَّطُ وَطَنًا

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٠٠)

٦. الإغتيال

يصور عدنان الصائغ تصاوير للإغتيال الذي لايزال قائماً في المجتمع العراقي. في أحد شوارع المدينة مساءً، و المطر ينهمر فإذا برجل يتكوم أمام عيون الناس فجأة و يمرّ الآخرون دون أن يعبأوا بالرجل لما اعتادوه في حياتهم اليومية:

ذَاتَ مَسَاءٍ
وَ بَيْنَمَا كَانَ الْمَطَرُ يَنْهَمِرُ
فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ
أُخْرِجَنِي مِنْ دِفْءِ جَيْبِهِ

خَرَّكِنِي بِبُرُودِ أَغْصَابٍ
وَوَجَّهْنِي إِلَى ظَهْرِ رَجُلٍ
كَانَ مُنْحَنِيًّا لِلتَّقَاطِ شَيْءٍ لَمْ أَرَهُ
إِذْ تَكْوَمَ الرَّجُلُ فَوْقَهُ فَجَاءَتْ
بَيْنَمَا اتَّسَعَتْ خُطَوَاتُ صَاحِبِي

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٤٥-٤٦)

٧. استغلال النفط و استغلال الناس

إن المستعمرين يحرصون على النفط في العراق، و تمزيق العرب إلى دويلات بحيث يقول تشرشل: «لسوف أضع على كل بئر نفط دولة عربية» (الصائغ، ٢٠١٠م: ١٤٣).
إن هذه الأرض مليئة بالدم و النفط غير أن الانتهازيين الغربيين يأخذونه، و يعطوننا قبالة اللذات الخاسرة على أسرة القحاب. هذا ما يلاحظه قارئ هذه القصيدة من قصائد «أوراق من سيرة تأبط منفي»:

هَذِهِ الْأَرْضُ
لَمْ تَعُدْ تَصْلِحُ لِشَيْءٍ
هَذِهِ الْأَرْضُ
كُلَّمَا طَفَحَتْ فِيهَا مَجَارِي الدَّمِ وَ النَّفْطِ
طَفَحَ الْأَنْتَهَازِيُّونَ
أَرْضَنَا الَّتِي نَتَقَيَّأُهَا فِي الْحَانَاتِ
وَ نَتَرُكُهَا كَاللَّذَاتِ الْخَاسِرَةِ
عَلَى أُسْرَةِ الْقِحَابِ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٥٩)

٨. السَّجْن

قد جاءت في صحيفة «نبض الشباب» العراقية في ١٩٩٨/٤/٦ مقولة وزير العمل و الشؤون الاجتماعية في العراق: «أعداد السجناء في العراق تعادل خمسة أضعاف طاقة استيعاب السجون» (نقل في الصائغ، ٢٠١٠م: ٤٥١).

و قد يعدَّب السجناء بهجمية النظام الطاغية و يذكر الصائغ ما مرَّ عليهم في السجون في قصيدته المعنونة بـ«تضييق البلاد» بأنه قد طرد وحيداً و مسافة كفيه في سلسلة بينما الحرس الواقفون يطفئوا سجائرهم:

و بَيْنَهُمَا أَنْتَ مُرْتَبِكٌ وَ وَحِيدٌ

بَيْنَ أَنْ تَبْتَدِي

فِي شَتَاتِ الْجُنُونِ

أَوْ تَنْتَهِيَ فِي سُبَاتِ السَّجُونِ

مَسَافَةً كَفَيْنِ فِي سِلْسِلَةٍ

بَيْنَهُمَا يُطْفِئُ الْحُرْسُ الْوَاقِفُونَ سَجَائِرَهُمْ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٣١-١٣٢)

٩. حَكَامُ الْعَرَبِ

يقول جبران خليل جبران في «حديقة النبي»: «ويل لأمة حكماؤها خرس من وقر السنين و رجالها الأشداء لا يزالون في أقمطة السرير» (جبران، ١٩٨٢م: ٣٥). يعتقد عدنان الصائغ أن مستقبل الناس في راحات الحكام من دون أن يساهموا في مصيرهم:

خَطُوطُ يَدِي امَّحَتْ مِنْ التَّشَبُّثِ بِالرَّيْحِ وَ الْأَسْلَاكِ

وَ هَذِهِ الشُّرُوحُ الَّتِي تَرَيْنَهَا لَيْسَتْ سَطُوراً

بَلْ آثَارُ الْمَسَاطِرِ الَّتِي انْهَالَتْ عَلَيَّ كَفِّي

وَ هَذِهِ التَّدْوِبُ غَضَّتْ أَصَابِعِي

مِنَ النَّدَمِ وَالْغَضَبِ وَالْأَرْتِجَافِ
فَلَا تَبْحَثِي عَنِ طَالِعِي فِي رَاخَتِي
- يَا سَيِّدَتِي الْعَرَّافَةَ -
مَا دُمْتُ مَرْهُونًا بِهَذَا الشَّرْقِ
فَمُسْتَقْبَلِي فِي رَاخَاتِ الْحُكَّامِ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٦٩ - ٧٠)

يصور الصائغ مصير الحكام في قصيدة «رقعة وطن» الذي هو ليس إلا مصير الشعب، و ما فعلوه بحقهم حيث يعبر عن أن الأمبراطور الذي اكتسب هذا المقام برؤوس الحراب، سقط على النصال المدببة لتلك الرؤوس هكذا يعبر عدنان الصائغ عن مصير الحكام بأنهم أصيبوا بنفس ما فعله بحق الآخرين:

الْأَمْبِرَاطُورُ
الَّذِي بَنَى عَرْشَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْحُرَابِ
مَا جَتْ بِثِقَلِهِ الْأُكْفُ
فَسَقَطَ
عَلَى نِصَالِهَا الْمُدَبَّبَةِ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٩٨)

١٠. الحرية

يقول الفيلسوف الألماني كانت: «التاريخ هو قصة الحرية» (الصائغ، ٢٠١٠م: ٩). إن الفريسة في قصيدة «سهم» ربما تكون ثمن الحرية، التي يجب ليدفع إزاءها و الحرية لم تحصل إلا بعد أن يستشهد لها جماعة، و الموت هنا من أجل الحرية أي أن الموت قد أصبح ثمناً للحرية:

لِحُظَّةِ الْأَنْعَتَاقِ الْخَاطِطَةِ

بِمَاذَا يُفَكِّرُ السَّهْمُ
بِالْفَرِيْسَةِ
أَمْ...
بِالْحُرِّيَّةِ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٨ - ١٩)

إنَّ حرية التعبير مصطلح حديث يعنى حقّ الأفراد فى التعبير عن أفكارهم و مشاعرهم، دون مانع أو تقييد أو تدخّل من حاكم ما لم يخُن أو يؤذِ أو يسىء (التونجى، ١٩٩٣م: ٣٦٢).

كأنه يشير إلى سياسة الرقابة التى تحارب الكتابة، و لا تبقى سوى البياض فيشكو منها فى قصيدته «بياض» حيث يقول:

الرَّقِيبُ الَّذِي فِي الْكِتَابِ
ظَلَّ يَلْتَنِّهِمُ الْكَلِمَاتِ
السُّطُورَ
الْحُرُوفَ
الْفَوَارِزَ
حَتَّى تَكَرَّشَ مِنْ كَثْرَةِ الصَّفَحَاتِ
و غَابَ
إِلْهَى.....
مَا الَّذِي سَوْفَ أَفْعَلُهُ
بِبَيَاضٍ كَهَذَا
الْبَيَاضُ حِجَابُ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٢٢ - ٢٣)

١١. مكانة عالية على دماء مسكوبة

يتحدث عدنان الصائغ مخاطباً عمال الحكومة، و منهم المدفعي بأنه أصبح ذا مكانة عالية: «كم من عيون فقأت و كم من جرائم فعلت بحق مواطنيك، كى تصل إلى هذا المقام و تتلألاً على كتفيك هذه النجوم كلها، و يريد أن يقول لا ثمن لهذا المقام بما كسبه على دماء الآخرين:

كَمْ عَيْنًا فَقَّاتَ
أَيْهَا الْمِدْفَعِيُّ
لِنَضِيءٍ عَلَى كَتِفَيْكَ كُلِّ هَذِهِ النُّجُومِ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٠٣)

١٢. الجندي الثائر

إنّ عمّال الديكتاتور لا يدرون أنّهم آلات في يده، يجعلهم الحاكم البيادق في حرب لا يدرون هل هي رقعة شطرنج أم وطن أم ميدان لسباق المسافات البعيدة. غير أنّ الجندي الثائر أعلن العصيان فقادوه إلى الخشبة، و أداروا نحوه الفوهات فيصرخ: «دعوني هذه عاقبتكم أيضاً فستصبحوا أكباشاً و تعلقوا فوق أشلائكم تيجان السلاطين: عوا و انتبهوا و اعتبروا!» هذه نبذة من قول الشاعر في قصيدة «بيادق» حيث يقول:

بَيِّدَقْنِي السُّلْطَانُ
جُنْدِيًّا فِي حَرْبٍ لَأُفْقِّهَهَا
لِأَدْفَعِ عَنْ رُقْعَةِ شِطْرَنْجٍ - لَأُأَدْرِى -
أُمَّ وَطَنِ أُمِّ حَلْبَةَ
وَ لِهَذَا أَعْلَنْتُ الْعِصْيَانَ
لَكِنَّ الْجُنْدَ الْخِصْيَانَ
فَأَدُونِي مَعْصُوبَ الْعَيْنَيْنِ إِلَى الْخَشْبَةِ

و أَدَارُوا نَحْوَى فَوْهَاتِ بِنَادِقِهِمْ
فَصَرَخَتْ: قِفُوا
سَتَجْرُونَ عَلَى هَذِي الرُّقْعَةِ
كَبِشًا كَبِشًا
كَيْ تَعْلُو - فَوْقَ سَلَالِمِ أَشْلَائِكُمْ - التَّيْجَانُ

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ٤٣)

١٣. الإختناق

يتحدث الشاعر عن قضية الإختناق في المجتمع العراقي، التي سادت حياة العراقيين في داخل بيوتهم و خارجها فيتحدث في إحدى «ثلاثة مقاطع للحيرة» عن توصية أب لولده لكي لا يقصص رؤياه على أحد، خشية أن لا تصل إلى السلطان و أن الشوارع مليئة بالأذان و الجواسيس الحكومية:

قَالَ أَبِي:
لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى أَحَدٍ
فَالشَّارِعُ مَلْغُومٌ بِالْأَذَانِ
كُلُّ أُذُنٍ
يَرْبِطُهَا سِلْكٌ سِرِّيٌّ بِالْأُخْرَى
حَتَّى تَصِلَ السُّلْطَانُ

(المصدر نفسه: ٩)

١٤. التحزب

يقول جبران خليل جبران في كتابه «حديقة النبي» و يرثي لأمة تفرقت أحزابا: «ويل لأمة تكثر فيها المذاهب و الطوائف و تخلو من الدين. [...] و يل لأمة مقسمة إلى أجزاء و كل جزء يحسب نفسه أمة» (نقل في الصائغ، ٢٠١٠م: ٢٠٦). يصف الشاعر الناس في

قصيدة «أحزاب» بأنه كيف تفاقم بينهم الصراع و تفرقوا أحزاباً لذريعة واهية كاللافتات و الشعارات، و هذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ عل جهلهم:

لَا فِتَاتٌ تَتَقَدَّمُ
بِغَايَةِ مِ نَ الشَّعَارَاتِ
أَحْتَلَفُوا
مَنْ يَتَقَدَّمُ الْأَوَّلَ؟
ثُمَّ تَشَابَكُوا بِالْأَيْدِي
ثُمَّ بِالْهَرَآوَاتِ
ثُمَّ..
سَقَطَتِ اللَّافِتَاتُ
و لَمْ نَرَ نَحْنُ الْمُحْتَشِدِينَ عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ
سِوَى غَايَةِ مِ نَ الْبِنَادِقِ
تَتَقَدَّمُ مُسْتَبِكَةً
بِاتِّجَاهِنَا...

(الصائغ، ٢٠٠٤م: ١٧)

١٥. الحكم على الظن

يشير الشاعر إلى ظاهرة سياسية أخرى، و هي أن الظلمة يملونه و يبوبونه و يفهرسونه و يطبعونه و يوزعونه ثم يشتمونه في الجرائد، و هكذا يصدرن الحكم على الظواهر و الظنون من دون عناية إلى البواطن و الحقائق بحيث يشكو قائلًا: و أنا لم أفتح فمى بعد في قصيدة «تأويل»:

يُمْلُونَنِي سَطُورًا
و يُبُوبُونَنِي فُصُولًا

ثُمَّ يُفْهَرِ سُونِي
و يُطْبِعُونِي كَامِلًا
و يُورِّثُونِي عَلَى الْمَكْتَبَاتِ
و يَشْتُمُونِي فِي الْجَرَائِدِ
و أَنَا
لَمْ
أَفْتَحْ
فَمِي
بَعْدُ

(المصدر نفسه: ٥)

١٦. المقاومة

يهدى عدنان الصائغ قصيدة «لا» إلى القاص حميد المختار بعد أن اغتيل عنفاً بيد الديكتاتور، و قد مرّغوا بالتراب فمه الذي اعتاد بقول «لا» و هو سمة من سمات مقاومته، بحيث يحرص لاؤه على الانتفاض و أنّ طريقه قد امتدّ البلاد بحيث يسمع الأباطور أصداثا من اللآءات و هي تعبر نوافذ قصره:

فَمُهُ الَّذِي اعْتَادَ أَنْ يَقُولَ لَأ
مَرَّغُهُ بِالْتَّرَابِ
فَنَمَتْ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ عَلَى امْتِدَادِ الْبِلَادِ
يَسْمَعُ الْأَمْبِرَاطُورُ حَفِيفَهَا وَ هِيَ تَعْبُرُ نَوَافِذَ قَصْرِهِ
أَجْرَاسًا مِّنَ اللَّآءَاتِ

(المصدر نفسه: ١٦)

النتيجة

بعد قراءة فى المجمع الشعري للشاعر العراقي عدنان الصائغ يمكن تلخيص النتائج التي وصلنا إليها فيما يلي:

إنّ عدنان الصائغ يمكن اعتباره من شعراء المدرسة الواقعية لأنه قد عالج المجتمع العراقي، و ما جرى فيه من المشاكل و الحروب و ما إلى ذلك. فكان هدفه الأساس هو المجتمع و كل ما يمت إليه بصلة و نستطيع أن نقول إن أدبه مرآة قد انعكست فيها القضايا السياسية و الاجتماعية.

قد تناول فى شعره كثيراً من القضايا السياسية و أهمها الحروب؛ التي تطرق إليها و إلى تبعاتها أكثر من القضايا السياسية الأخرى. فأكثر من ذكر الحروب التي مرت على العراق داخلية كانت أو خارجية منذ عام ١٩٥٨م إلى عام ٢٠٠٣م و هي الحرب الأميركية العراقية التي قد أشار إليها الشاعر العراقي عدنان الصائغ فى كثير من قصائده.

أما القضايا السياسية الأخرى التي نراها فى شعره فهي الديكتاتورية و رعب الاستبداد و عدم الأمن و الاحتلال و التشرد و النفى و الحكام و ولاة الأمر و الاختناق و التحزب و الاغتيال و النفط و السجن و ثورة الجندي و الحرية و التي من الممكن أن ندعى أنها قد شغلت حيزاً ملحوظاً من شعره بعد الحروب.

المصادر و المراجع

- التونجي، محمد. ١٩٩٣م. **المعجم المفصل في الأدب**. ج ١. بيروت: دار الكتب العلمية.
- جبران، جبران خليل. ١٩٨٢م. **حديقة النبي**. دراسة و تحليل نازك سبابا يارد. بيروت: نوفل.
- الجبوري، كامل سلمان. ٢٠٠٣م. **معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م**. ج ٣. بيروت: دار الكتب العلمية.
- راي، ميلان. ٢٠٠٣م. **خطة غزو العراق، مع فصل بقلم نعوم تشومسكي**. ترجمة حسن الحسن. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الروضان، عبد عون. ٢٠٠٥م. **الشعراء العرب في القرن العشرين، حياتهم شعرهم آثارهم**. المملكة الأردنية الهاشمية، عمان: الأهلية.
- رينولد، ترزا. ١٣٨٩م. **قدرت نرم، سياست خارجي آمريكا در جنگ عليه عراق طي سال هاي ١٩٩١ تا ٢٠٠٣**. با مقدمه اصغر افتخاري. ترجمه مجيد رسولي. تهران: دانشگاه امام صادق (ع).
- الصائغ، عدنان. ٢٠٠٤م. **الأعمال الشعرية (تأبط منفى)**. بيروت: المؤسسة العربية.
- الصائغ، عدنان. ٢٠٠٤م. **الأعمال الشعرية (تحت سماء غريبة)**. بيروت: المؤسسة العربية.
- الصائغ، عدنان. ٢٠٠٤م. **الأعمال الشعرية (تكوينات)**. بيروت: المؤسسة العربية.
- الصائغ، عدنان. ٢٠٠٤م. **الأعمال الشعرية (غيمة الصمغ)**. بيروت: المؤسسة العربية.
- الصائغ، عدنان. ٢٠٠٤م. **الأعمال الشعرية (مرايا لشعرها الطويل)**. بيروت: المؤسسة العربية.
- الصائغ، عدنان. ٢٠١٠م. **القراءة و التوماهوك و المثقف و الاغتيال**. بيروت: المؤسسة العربية.
- هلال، هيثم. ٢٠٠٦م. **موسوعة الحروب**. بيروت: دار المعرفة.